الدين كمدخل لنزعة الأنسنة عند إيمانويل لفيناس.

بغياني فايزة: طالبة دكتوراه*

إشراف: ا.د.عمر مهيبل

مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر

ملخص:

لقد كان الدين مدخلا لإتيقا المسؤولية والإرتهان للآخر عند ايمانويل لفيناس، ليؤسس من خلاله لأنسنة جديدة تختلف في سماتها ومنطلقاتها عن أنسنة الأنوار والتي ارتبطت بمركزية الذات الغربية أي الإنسان الأوروبي وما نجم عن هذا التمركز من أحداث عنف وحرب أدت إلى ظهور خطابات النهايات كنهاية التاريخ وموت الإنسان بعدما أعلن نيتشه موت الاله، من هنا انبعثت فلسفة لفيناس التي كان يأمل من خلالها الى بلورة انسنة ذات أنفاس عبرانية تستلهم أهم مفاهيمها المركزية من الإرث اليهودي الديني والذي وجد فيه الترياق والعلاج لأزمات العصر، وهو دين لا تتحدد ملامحه الا ضمن العلاقة الإتيقية وجها لوجه مع الآخر الشريك في الإنسانية.

الكلمات المفتاحية:

الدين، الأنسنة، الإتيقا، الذات، الآخر.

*فلسفة غربية معاصرة، جامعة الجزائر02

1-مقدمة:

في ظل التحولات التي شهدها العالم المعاصر في الفترة الأخيرة من تطورات علمية تكنولوجية وأحداث عنف كادت أن تقضي على الوجود الإنسي نهائيا من سطح الكرة الأرضية لتحل النزعة الآلية بدلا من النزعة الإنسانية، ونزعة الإلحاد بدلا من الإيمان بسبب الجفاف المفزع داخل المنظومة القيمية للإنسان ما أفقده انسانيته ، يسطع ويبرق سؤال الدين من جديد مثل فتح لجرح كاد أن يندمل وإكتشاف أثر منسي، ربما لكثرة المستنجدين به لما له من قدرة كبيرة على احياء الجانب القيمي المعبر على انسانية الإنسان واضفاء المعنى عل كل الوجود.

صحيح ان الحضارة الغربية المادية استطاعت ان تخطف من الدين قداسته وبريقه لتمنحها للإنسان الغربي المتمركز بقوة وسط الوجود، لكنها لم تستطع اقتلاعه نهائيا من الوجدان لدفعه نحو التقهقر ومن ثم التلاشي، فسرعان ما انكب الفلاسفة الى اعادة وضعه تحت دائرة البحث الفلسفي من جديد لعلهم يجدون فيه الترياق لعصرنا عصر الفراغ على حد تعبير جيل ليبوفتسكي وتلاشي انسنة الإنسان، وفي هذا السياق تندرج اتيقا ايمانويل لفيناس التي تتخذ من الدين أرضية خصبة لتأسيس أنسنة جديدة تختلف في سماتها الأساسية عن انسنة الأنوار الخاصة بالذات المتمركزة حول ذاتها وعليه نطرح الإستشكال التالية: عن أي دين سيحدثنا لفيناس؟ وكيف تشكلت رؤيته النقدية الدينية لمركزية الذات الغربية؟ كيف تلتقي الذات الآخر إتيقيا ومن ثم دينيا؟ وكيف يصبح اللقاء الإتيقي بين الذات والآخر عنوانا للإنسانية ومدخلا للسلام العالمي؟ وكيف سيؤصل لفيناس للمنعرج الحاسم للأنسنة لينقلها من الذات ال الآخر؟ وهل يمكن للإنسانية ان تتعلفى دينيا؟

2-أزمة التمركز حول الذات الغربية:

لقد كانت الفلسفة الغربية المعاصرة منذ بداياتها اليونانية الأولى حسب ايمانويل لفيناس فلسفة ذات بامتياز، فقديما عمل الفلاسفة على البحث فيها بحيث جعل السفسطائيين الإنسان مقياسا للأشياء جميعها وان أعلوا من قيمة الحواس، ثم سقراط الذي قال""اعرف نفسك بنفسك" أين وجه دعوة للإنسان للعودة الى ذاته والغوص في البركة العميقة من نفسه ليكتشفها من جديد، ليعرف أنه كائن عاقل واستثنائي فهو صاحب الأصل الإلهي الخالد لذلك يحق له ان يفتخر بذاته

كمركز لكل الوجود، ومن هنا جعلت الفلسفة الغربية من الذات موضوعا لها على مر العصور إلى غاية الفترة المعاصرة.

و هكذا فإن هذا المفهوم و نقصد مفهوم الإنسان كذات، ظل محاطًا بهالة من القدسية و السمو جعلاه بمنأى عن كل انتقاد[1] وارتياب، وقد بلغت حدة التمركز الغربي حول الذات ذروتها في العصر الحديث مع ديكارت بتخريجه لإشكالية الكوجيطو "الأنا افكر" المستعمر للطبيعة فالذات هنا هي سيدة العالم وبطله البرومثيوسي، فهي الأنا أفكر والوعي والفكر والعقل بل الأنا المتطابقة مع ذاتها والمتماهية معها لأنها غير قادرة في الدخول في مشهد لقاء مع الآخرفاللقاء قد يهز مركزيتها ونرجسيتها.

يقول إيمانويل لفيناس في هذا الصدد وذلك في نص "أثر الآخر La trace de L'autre " :"الأنا هي المماثلةL'identification بامتياز، وهي أصل ظاهرة الهوية نفسها، فهوية الأنا هي ليست مجرد استمرار لهوية ثابتة، أنا أكون- نفسي ليس من خلال علامة صفة أثبت بها نفسي أولا لكي أعرف ذاتي، ولأنه أنا كليا نفسي-أنا إنية-فإنني أستطيع أن أحدد كل موضوع، كل علامة وصفة وكينونة.

هذه المماثلة ليست مجرد بساطة"تكرار" للذات: ال" أ هو أ" المرتبطة بالأنا، هي تكون"أ القلقة من أجل أ" أو " أ الملتذة بواسطة أ" دوما ال"أ المنشدة إلى أ".ان خارج الأنا ترجوا الأنا داخل الحاجة: ذلك أن خارج الأنا يكون من أجلي أنا، فتكرارية الإنية هي إذن أنانية"[2].

لقد اتخذت الفلسفة الغربية لنفسها أنموذجا وهو التمركز حول الذات لكن هذه الأولية للمطابق كانت بدايتها الأولى منذ القدم مع درس سقراط فأنا لا أتلقى أي شيء من الآخرين الا ما هو داخل ذاتي، منبع كل ما هو خالد فأنا أمتلك كل ما يأتي من الخارج"[3]، وهذا ما أستمر بصورة أعمق مع ديكارت وفلسفات الذات المعاصرة ونقصد الفينومينولوجياPhénoménologie مع هوسرل والشخصانية Personnalisme مع ايمانويل مونييه والفلسفة الوجودية Existentialisme مع مارتن هيدغر، هذا الأخير الذي جعل الوجود الأصيل للذات كدازاين لا يتحقق الا من خلال تحملها القلق من الموت لأن الموت هو موتي انا الخاص وفيه تتحقق أقصى درجات الذاتية.

كما اننا نجد أيضا هوسرل قبله اختار الطريق الذي سيسكله؛ وهو انه سوف يسير على خطى فيلسوف الذاتية والعقلانية الأعظم ديكارت، فالفينومينولوجيا الترنسندنتالية هي ضرب من العودة

[1]- عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007،، ص ص 21-22.

[2] -Emmanuel Levinas , En découvrant L éxistence avec Husserl et Heidegger, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, librairie philosophique J . Vrin, 2010, 4eme édition., p.187 .

[3] -Emmanuel Levinas, Totalité et infini(Essai sur L'extériorité), Original édition: Martinus Nijhoff, 1 erédition , 1971, p.p.33_34.

إلى الذات والتأمل الذاتي؛ الذي يشترط الانعزال التام والانطواء للإعلاء من قيمة الحياة الروحية للإنسان، لذلك كان فعل التفلسف الحق يشترط حسبه انطلاق الفيلسوف متأملا :"في البداية، كل واحد يريد أن يصبح فيلسوفا، يجب أن يرجع ولو"مرة واحدة إلى حياته" إلى ذاته، ومن داخلها يحاول إسقاط كل العلوم والمعارف التي سلم بها الى ذلك الى الحين، ليحاول اعادة بنائها من جديد"[1] لأن التأمل يشترط الانعزال وهو تعلمه ديكارت من مدرسة اليسوعيين .

وللخروج من هذا المأزق حسب لفيناس أي هذه الفلسفة التي يمكن وصفها كفلسفة إنعزال لانها تجهز على كل غيرية، يقترح علينا العودة الى الجذر الأونطولوجي للعزلة وذلك لتوضيح الطريقة التي من خلالها يمكن تجاوزها[2].

فقد تساءل لفيناس في عنصر عزلة الإنوجادLa solitude de L'exister من كتابه المهم الزمان والآخر Le temps et L'autre، "على ماذا تتأسس حدة العزلة؟ من المألوف القول اننا لا نوجد لوحدنا أبدا، فنحن محاطون بكائنات وأشياء، نقيم معها علاقات . عبر الرؤية واللمس والود والعمل المشترك، نحن مع الآخرين كل هذه العلاقات متعدية : فأنا ألمس الموضوع، وأرى الآخر، لكنني لست الآخر، فأنا وحدي، اذا فالكينونة بداخلي(أي، واقعة أنا موجود)، إنوجادي هو الذي يؤسس العنصر اللازم على الإطلاق، الانوجاد عنصر لا قصدية فيه، ومن دون رابطة _يمكن الموجودات أن تتبادل كل شيء ماعدا الإنوجاد ، الكينونة هي الانعزال من خلال الانوجاد، فأنا موناد بما أنا موجود_وعبر الانوجاد...أكون من دون أبواب ونوافذ"[3]، اذا كل شيء في داخلي بما في ذلك الكينونة، والتي هي غير قابلة للايصال، فهي أكثر ما هو خاص بي وأشد ما هو حميمي مرتبط بذاتي المنعزلة، لذلك كانت علاقتي مع الإنوجاد هي علاقة داخلية بإمتياز ذلك أن العزلة مرادفة لفعل الانوجاد[4] والمواظبة على استمرارية الكينونة.

لذلك فاذا كان تاريخ الفلسفة الغربية عند هيدغر تاريخ نسيان سؤال الكينونة، وعند بول ريكور فيما بعد تاريخ نسيان اشكالية الرمز ذات الأصول الدينية وضياع الانسان ككائن ينتمي الى المقدس، والتاريخ عند جون لوك ماريون هو تاريخ نسيان سؤال الحب في حين أن الفلسفة هي وليدة الحب حيث عرفها القدماء بمحبة الحكمة، فالتاريخ عند ايمانويل لفيناس هو تاريخ نسيان سؤال الآخر أو تاريخ نسيان اضطهاد اليهود كما سيصرح بذلك في كتابه فيما بعد الإتيقا واللانهائي Ethique et infini

[1]-Edmond Husserl, Méditations cartésiennes (Introduction A la phénoménologie), traduit: Gabrielle Peiffer,Emmanuel Levinas , libraire philosophique J. Vrin, 1996, Paris, p.2.

[2]- Emmanuel Levinas, le temps et L'autre, Fata Morgana, 1979 p.p28-30.

[3] -Ibid, p.34.

[4]-Ibid, p.34.

إذ يقول في نص الكلية واللانهائي:"الفلسفة الغربية غالبا ما كانت أونطولوجيا: اختزال الآخر من طرف المطابق وذلك داخل وحدة كلية وهو ما سيضمن تفوق الكينونة.

وذلك في اطار السعي الدؤوب للكائن من اجل المعرفة و الفهم والكفاح أو الحرب La lutte فحتى وان اتى كانط من قبل بمشروع السلام الدائم، فهو لم يكن سلاما مع الآخر ولكن قمعا له ومحاولة لتملكه possession، كان قمعا ونفيا واقصاء لكل آخرية فالأنطولوجيا والتي تحوي ضمنا بقايا الفلسفة السقراطية، كفلسفة أولى كانت فلسفة للقوةpuissance وأيضا للعنف والكفاح والأنانية الموروثة من شخصية سقراط والفلسفة اليونانية[1].

ويستمر لفيناس باستخدام مفاهيم مثل الامبريالية والقوة والعنف والقدرة لوصف الأنطولوجيا كفلسفة أولى والتي هي في نظره مرادفة لفلسفة اللاعدالة L'injustice فقد ضحت بإنسانية الإنسان الآخر لصالح الكلية والشمولية وضحت بالميتافيزيقا لصالح الأونطولوجيا وضحت بالآخر لصالح الذات، الآخر الذي حرمته أن يكون شريكا للذات في مشروع انسان، لذلك كانت أنموذجا لفلسفة الاستبداد والامبريالية بحيث وجدت امتدادها الطبيعي في احكام قبضة التقنية على العالم، الأمر الذي يتوافق مع المبدأ البيولوجي الذي صاغه داورين الصراع من أجل البقاء ومن هنا سوف يصف لفيناس الأنطولوجيا الغربية بالأنطولوجيا الطبيعية الغير شخصية، والتي تصطدم مع الفطرة السليمة للإنسان التي لا تتقوم الا من خلال الرغبة في الآخر وليس التحسس منه[2].

فقد كانت الأنطولوجيا كفاحا مستمرا من أجل المحافظة على استمرارية البقاء ومركزية الذات، فدخول الآخر الى المشهد قد يولد لدي رعبا وخوفا منه ألم يكتب سارتر:" وانطلاقا من تلك الزاوية المظلمة حيث يمكن أن يختبئ إنسان حاضر، واذا ارتعشت لسماعي أي صوت، وإذا كل طقطقة تعلن لي عن نظرة ما، فذلك أصلا لأنني في حالة أحس فيها أنني منظورا إليه"[3]، فنظرة الآخر تجعلني مجمدا في العالم، معرضا للخطر والتهديد، لتنتابني رعشة رعب وخوف من الآخر لذلك لما يصف لفيناس فكر الكينونة بالرعب وأيضا السكون.

مثل ذلك السكون الذي يحياه شخص جالس على كرسي في حديقة عامة، أرضها مليئة بالأعشاب والأزهار الجميلة والسماء زرقاء صافية، واذا بشخص آخر يمر، يهز ويسرق سكونه لما يرعبه،

[1] -Emmanuel Levinas, Totalité et Infini,op.cit , p.36-37.

[2] -Ibid, p.p.37-38.

[3] - جان بول سارتر، الكينونة والعدم(بحث في الأنطولوجيا الفنومينولوجية)، ترجمة نقولا متيني، مراجعة عبد العزيز العيادي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009، ص376.

وذلك عندما زلزل داخله وكبل حريته بنظرته، لذلك ما ان يلمحه يدركه أولا كموضوع، ورجل في نفس الوقت، فهو موضوع الى جانب الكراسي، يمارس نوعا من الضغط عليه وعلى الأرض المعشبة من خلال نظرته [1]ف:"ان ظهور عنصر يفكك وحده عالمي المحيط بي، وسط المواضيع المشكلة لهذا العالم، هو ما أدعوه ظهور انسان في عالمي، فالآخر هو أولا هذا الهروب المستمر للأشياء نحو حد أدركه كموضوع موجود على مسافة معينة مني" [2]"و يظيف قائلا:"من تلك الزاوية المظلمة حيث يمكن أن يختبئ انسان حاضر، وإذا ارتعشت لسماعي أي صوت، وإذا كل طقطقة تعلن لي نظرة ما، فذلك لأنني أصلا في حالة احس أنني منظورا اليه"[3].

ومن هنا سوف تفرض ضرورة الهروب من فلسفة الكينونة ومركزية الذات نفسها وذلك عندما رأى لفيناس بأن الأنطولوجيا الهيدغرية قد وجدت تجسيدها العملي مع نازية هتلر وهو ما يوضحه بقوله:" وفي الأخير نتجه الى تأمل الهيتلرية[4] من خلال الهروب L'évasion من تعب الكينونة" fatigue de être" الذي منه تأتي الحاجة الى الهروب besoin L'évasion "[5]، من هذا الفزع والرعب والملل الذي جسده فكر الكينونة لذلك يجب احداث قطيعة مع هذا النوع من الفكر، وهذا ما يصطلح عليه لفيناس اسم التجرد من الكينونةdes-itér-essement [6].

لفيناس والإرث الديني اليهودي:

لفيناس هذه المرة سوف يجد الترياق والعلاج لهذه الأزمة في العودة الى الدين، فهو بالنسبة له ذلك المكبوت الذي بدأ يطفوا على سطح فلسفته، لأن فكره تجذر على ارضية تيولوجية وذلك ما ظهر أثناء إجابته عن سؤال طرحه عليه محاوره فيليب نيمو والمتمثل في:كيف إستطعت التوفيق بين

[1]-مرجع نفسه، 349.

[2]-مرجع نفسه، ص350.

[3]-مرجع نفسه، ص376.

[4]-تجدر الاشارة هنا الى ان لفيناس يجعل من الهتلرية مرادفة لفلسفة الكينونة ككفاح وحرب من اجل الاستمرار في الوجود، والتي كانت في جوهرها حربا وعنفا ضد الآخر.

[5]- Emmanuel Levinas, Quelque réflections sur la philosophie de L Hitlérisme , suivi d un essai de Miguel Abensour, Editions Payot & Rivages, Paris, 1997 , p.p.111-112.

[6] -وهذا ما أشار له مصطفى كمال فرحات الباحث التونسي تلميذ ايمانويل لفيناس، في مقال له بعنوان صروف الكينونة بين لفيناص وهيدغر حرب الاطيقا ضد الأنطولوجيا، وردت ضمن:حوليات الفينومينولوجيا والتأويلية، مج1، ديسمبر 2006، منشورات دار المعلمين ودار سحر للنشر ص 36.

نمطين من الفكر؛ التوراتي والفلسفي؟[1] وقد أجابه لفيناس ب:"أنا لم أتحدث عن "التوفيق" أو"الإنسجام" بين التقليدين، لكن ان وجد وفاق، ذلك ربما يرجع الى ان كل فكر فلسفي يستند الى تجارب ما قبل-فلسفية pré-philosophique وقراءة التوراة تنتمي بالنسبة لي، الى هذه التجارب المؤسسة ، فهي بالتأكيد لعبت دورا أساسيا-وفي جانب كبير منها دون أدنى شك-في طريقتي الفلسفية في التفكير"[2] وهذا ما سوف يبرر فيما بعد عنونته لمؤلفاته الأساسية، **بأربع قراءات تلمودية Quatre lectures Telmdique** الذي نشر سنة1964م و **قراءات تلمودية جديدة Nouvelles lectures Telmudiques** و **كتاب الحرية الصعبة Difficile liberté** في سنة1963م، وهي عناوين توضح لنات الصلة الحميمية بين لفيناس وروحانية التلمود والتي وجد فيها عزاءا للرد على تمادي حضارة الغرب المادية في الوجود.

كما ان لفيناس كان يعيش مشتتا بين بيئات مختلفة، ما بين مجتمع اوتشوني وبولوني وروسي وليتواني، حيث كانت ليتوانيا مركزا للأبحاث والدراسات التلمودية، فهو ينتمي الى اليهودية النامية قرب غاوون فيلنا Gaon de Vilna التابعة للياهو بن شلومو زلمان [*] Sh.Zalman، المؤول الذي حاول تجاوز اليهودية الربانية من خلال اعتماده على التأويل في التعامل مع النص المقدس، فمدخل التوراة في نظره هو التأويل أو الفيلولوجيا، للبحث عن المعنى الخفي الذي يختبئ خلف الظاهر، بحيث كان هذا الأخير ملما بالعلوم، فقد اطلع على الرياضيات وعلم الفلك وعلم التشريح، وكذا الفلسفة اليونانية العريقة، فكان من الطبيعي أن ينموا لديه حس نقدي في التعامل مع النصوص الدينية، فالرهان من تأويل التلمود هو اعادة قراءة النص بالاستناد الى العقل لا على أي سلطة أخرى.[3]

---

[1] - Emmanuel Levinas, Ethique et infini(dialogue avec Philippe Nemo),Libraire Arthème et Rdio –France,1982, p.13.

[2] -Ibid, .p.14-15.

[*] الياهو بن شلومو زلمان وهو فقيه فلنا ولد سنة1797م وتوفي سنة 1720م ، ويدعى ايضا ب"فقيه فيلنا"هو من اهم علماء ومفسرين التلمود، ولد في ليتوانيا واطلع على مختلف العلوم منذ صغره، كما انه انتقل في الفترة الممتدة من 1740الى 1745 بين العديد من التجمعات اليهودية من بولندا الى المانيا واستقر بفلينا اين انشأ مدرسة تلمودية "عليا ياشيفا"، وقد رفض منصب الحاخام وعاش في عزلة تامة،ويعتبر من اشهر علماء التلمود عند اليهود، وقد ازدادت سلطته عندما قاد معارضي فكرة الحسيدية في ليتوانيا ونجح في الحد من انتشارها، وعرف بزعيم المعارضين، وشهرته ترجع الى تجديد الدراسات التلمودية من الداخل، من خلال سعيه لبلوغ معنى عقلي مباشر للنص، وقد ترك عددا هائلا من المخطوطات والتعليقات على العهد القديم والمشناه والتلمودين البابلي والأورشليمي، وعلق على ادب المدراش وكتب القبالاة. عمر أمين، التلمود (المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والإجتماعية)، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ص ص 47-48

[3] -Marie_Anne Lescourret, Homo philosophicos, Levinas de L'être à L'autre, sous la coordination de Joelle Hansel, press Universitaires de France, Paris,1er édition, 2006 ,p.23.

كذلك كان للمؤول اليهودي حاييم دوفولوزين C.D.Volzen والذي كان قارئا ممتازا للقبالة kabbalahتأثير كبير في فكره ، فقد أكد دوفولوزين مسؤولية الإنسان نحو الإنسان الآخر المكتوبة في التوراة والتي تعتبر جوهر الحكمة اليهودية، والإنسان يجب ان لا يتصنع البلادة واللامبالاة تجاه ما يحدث في العالم بحيث يجب أن يتحمل مسؤوليته في الوجود ليوسع من دائرة معارفه، ففولوزين يعبر عن الجانب العاطفي في اليهودية الأصولية وهو ما سيترك تأثيرا كبيرا على لفيناس، عندما بث فيه الروح النقدية في تعامله مع النصوص المقدسة أو الدنيوية، وستظهر في سعي لفيناس الى خلع الأساطير للبحث عن الطيبة الأصلية الموجودة في الانسان خلف هذا الرعب الموجود في العالم[1].

لو تسألنا هنا كيف نكتشف هذه الطيبة الأصيلة؟ لأجابنا لفيناس بأنه يمكن العثور عليها من خلال فعل الصنع Laeuvre والذي هو مفهوم استعاره من وجودية غابرييل مارسيل المسيحية وفلسفة مارتن بابر الحوارية اليهودية، وهو كل ما يحيلني الى عالم غريب لا يمكن أن تستحيل آخريته الى فكرتي فلفيناس لا يريد أن يثبت بأن الكينونة متماهية أو متماثلة مع ذاتها[2].

ففعل الصنع هو حركة هروب وخروج المطابق نحو الآخر كما أنه فعل ليس له ثمن وتكلفة واستحقاقات وهو أيضا ليس عدمية خالصة، لان الانسان العدمي هو الذي يطالب باستحقاق ذلك أن فعل الصنع هو علاقة مع الآخر الذي ندركه ولا نستطيع الإمساك به أي دون أن يبدوا كمقبوض عليه، انه بمثابة مواجهة بين البداية والنهاية، كما انه لا يتحقق الا من خلال الترقب والصبر وعندما يبلغ أقصى درجاته يصبح يأخذ معنى ان يتوقف الإنسان على أن يكون معاصرا لمآله [3]، لأنه يفتتح مستقبلا من نوع خاص.

فالمستقبل الذي يفتتحه فعل الصنع يتحدد بلا مبالاة ازاء موتي أنا الخاص لأنه الكينونة –من-أجل- ما-بعد -موتي L être-pour-l au delà-de-ma-mort، فالصبر لا يكون بالنسبة للإنسان أن يخدع جوده بإنعطائه لزمن خلود شخصي، للعبور لزمن بلا أنا وذلك لن يتم الا من خلال اعادة تحديد العالم كعالم بلا أنا كزمان وراء أفق زماني أنا وهو ما يصطلح عليه لفيناس اسم أخروية

[1]-Marie_Anne Lescourret, Homo philosophicos, Levinas de L'être à L'autre,o.p.cit p.p.23.24.

[2] -Emmanuel Levinas, En Découvrant L'existence avec Husserl et Heidegger, op.,cit, p.266.

[3] -Ibid, p.267

Escgatologie دون أمل في الذات، لأصبح من أجل زمن يكون بدوني أنا، انه زمن بعد زمني للمرور الى ماوراء الكينونة ، وذلك لكي أكون من أجل ما بعد موتي فيصبح المستقبل قاعدة للحاضر[1].

للعبور الى زمن آخر يختلف عن زمن الأنا أو بعبارة أدق يختلف عن زمن الكينونة، وما يجعل فعل العبور ممكننا ومتحققا يمكن أن نطرح عليه اسم الخلود أو الأبديةéternité فأن أكون- من أجل- الموت لعلني أكون- من أجل ما هو- بعدي، عبور لما هو بعدي لا يمكن ان يتحقق الا من خلال التضحية، فالعمل المناسب للمطابق هو أن يتحرك في حركة دون عودة تجاه الآخر بالاستناد الى الإتيقا نفسها[2]

كتجربة يتعذر رفضها ومرتبطة بصورة وثيقة، بعلاقة وجه لوجه Le Face à face للبشر في المجتمع، وبهذه الطريق يمكن ان تكون العلاقات أخلاقية وليست أونطولوجية لتنزاح الأونطولوجيا عن مركزها باعتبارها فلسفة أولى وتأخذ الإتيقا محلها[3]، فذا كان مارتن هيدغر يمنح امتيازا وأولوية لأونطولوجيا الدزاين، فان لفيناس يمنح امتيازا لايتيقا الغيرية التي يمكن ان تضفي على الوجود معنى [4] وذلك أثناء انفتاح الذات في مشهد اللقاء على الآخر.

ففلسفة لفيناس هي فلسفة لقاء Rencontre فحسبه لا توجد انا لوحدها بل توجد الأنا مع الأنت ووجود الأنا يفترض وجود الأنت، ليصبح العالم مجالا للقاء الآخر المختلف عن الأنا، فلفيناس يتفق مع مارتن بابر الذي دشن الملامح لفلسفة اللقاء والحوار حول وجود نوعين من التفلسف، وهما تفلسف كلياني يرتكز على الفهم والسيطرة والتملك وآخر منفتح على الآخر المختلف، وهو لقاء أكثر منه تفكيرا يعلي من قيمة العلاقة بين الأنا والأنت[5].

لذلك نجد لفيناس قد أعلن حربا شعواء على فكر الكينونة، وذلك للتأسيس للقاء الاتيقي، الذي يبدأ بحركة دون عودة لمركز تتحدد كانفصال لذلك لن نجد لفيناس قد ألف كتابا كاملا تحت عنوان إنسانية الإنسان الآخر **L humanisme de l'autre home** انه الانسان الآخر الذي له اقتدار ازاحة الذات عن مركزها ليهز سجن نرجسيتها.

---

[1]- Ibid, p.p.267-268.

[2]- Ibid, p268.

[3] -Emmanuel Levinas, Ethique et infini, op.cit, p.71.

[4] -Jean-Luc Marion, , Figures de la phénoménologie(Husserl, Heideggar, Levinas, Henry, Derrida), Libraire philosophique J. Vrin, Paris, 2012,p .76.

[5] -رشيد بوطيب، نقد الحريَّة، (مدخل الى امانويل ليفيناس)، تقديم أكسل هونيث، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، بيروت، الجزائر العاصمة، 2019 ، ص26.

لذلك عالم الاجتماع الفرنسي الان تورين A.Tourin وأثناء تقديمه دراسة تحليلية نقدية لاتيقا لفيناس في كتابه نقد الحداثة، نجده يصف لفيناس بفيلسوف التحرر أكثر من أن يكون فيلسوف العلاقة، فالانسان عند لفيناس لكي يتجنب العلاقات الملوثة بالسلطة، ولكي يحمي غيرية الآخر الأصيلة اخذ لفيناس عن هوسرل مبدأ ان الوعي هو دائما وعي بشيء ما، ليحوله الى وعي بأحد ما، وهو ما يحرر الآخر من النزعة الفردانية وأيضا الجماعية، ليضع الاتيقا والتعامل مع الآخر في اصل الفلسفة[1]، ليتحرر الآخر من سجن الكلية والشمولية وتتحرر الذات معه من سجن عزلتها .

كما ان الرهان اللفيناسي تمحور خول تحويل مبادئه الاتيقية الى قواعد مؤسساتية، لذلك كانت له جرأة مواجهة سلطة الكوجيطو المستعمر للطبيعة والذي يفرض نموذجا موحدا للهوية فيؤكد على **الإختلاف**، فهو يقف ضد كل تنميط واختزال المجتمع لحشد، اذ يجب الترحيب واحترام الآخر الغريب، فالمثير للحزن والأسف هو أن الشمولية تسللت الى العقول والضمائر فصمت الآذان عن الأخوة ونداء الشريك في الانسانية[2]، لكن مع لفيناس سنسمع صوت وكلمة الآخر المنسي والمهمش بل المضطهد، فقد استطاع ان يحدث في تاريخ الفلسفة الغربية منعرجا حاسما(مركزية الآخر) يضاهي المنعرج الذي أحدثه ديكارت(مركزية الذات) وبقلبه، ذلك ان العلاقة مع الآخر هي علاقة مع من يتعذر ابتلاعه واختزاله.

وهذه العلاقة يغذيها التوق L'aspiration والانتظارL'attente توق ورغبة غير قابلة للإشباع[3]، فالرغبة عند لفيناس تقترب في تعريفها من تلك الرغبة التي تحدث عنها بول فاليري P.Valéry في "ترانيم الأعمدة Cantique des Colonnes"، الرغبة الخالية من النقصان أو الخطأ، وهو يشير دون شك الى تحليلات افلاطون للذة الخالصةplaisirs purs من كل منفعة، فالرغبة هنا رغبة في الآخر الذي لا يكون عدوا مثلما اعتقد هوبز وأيضا هيغل، وليس مجرد مضاف الى الذات كما كان سائدا في المأدبة عند افلاطون[4]، بل أخا وقريبا وشريكا في الانسانية.

والانطلاق نحوه يكون في حركة تخرج الأنا من تماهيها مع ذاتها باتجاه الغير، فهي حركة وحفر مستمر وجوع لا يغذيه الا الوصل والاتصال، جوع لا يمتلئ ابدا في هذا الحفر المستمر والمتجدد ينشد دائما ما وراء افق العالم، فالرغبة لها طبيعة ميتافيزيقية، تنشد آخرا مختلف على الأنا باطلاق، الذي

[1] -الان تورين، نقد الحداثة، ترجمة عبد السلام الطويل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2010، ص229.

[2] -مرجع نفسه، ص229.

[3] -Emmanuel Levinas, Le temps et Lautre, o p .,cit, p.p.10-14.

[4] - Emmanuel Levinas, Humanisme de L'autre homme, Fata morgana, 1972 , p .p.63-64.

هو الغائب المفقود الذي نتوق للقائه، لذلك كانت الرغبة حفر لانهائي ما يجعلها اكثر كثافة واستمرارية،[1] فهي بمثابة حنين لما يتعذر الامساك به، كحنين وتوق المتصوف الزاهد الذي لا يشبع ولا يضمحل، للقاء محبوبه أي الهه، وهنا يمكن ان نتخذ مفهوم الشوق لابن عربي والذي خصه بتأملات كثيرة في كتابه ترجمان الشوق كمرادف لمفهوم الرغبة اللفيناسي.

3-نزعة الأنسنة كإرتهان للآخر:

انه لقاء يتم انطلاقا من الوجه الإنساني الذي يؤسس للعلاقة الإتيقية مع الآخر، لذلك جعله لفيناس المفهوم المحوري والذي تردفه المفاهيم الأخرى في اتيقا الغيرية عنده، فمن خلاله التقي واواجه واستقبل الآخر أي انفتح عليه وهو ما يؤكده بقوله:" تجلي manifestation الوجه هو الخطاب الأول، ذلك أن الكلام هو قبل كل شيء طريقة في القدوم ما وراء المظهر، ما وراء الشكل انفتاح داخل الانفتاح".[2] ، فمن خلال الوجه يلتقي الآخر وجها لوجه مع الذات لتتمكن من التحرر من نرجسيتها فهو اساس كل تواشج حميمي بين الذات والآخر.

كما انه هو ما يتعذر عن الاختزال والتوجه نحوه يستلزم الاتيقا في المقام الأول والأخير، لذلك وحسب لفيناس ليس بالامكان ان نتحدث عن فينومينولوجيا للوجه، على أساس ان الفينومينولوجيا تقوم على وصف الظاهرة، في حين ان الوجه هنا هو ما يتعذر عن الوصف، فجلد الوجه هو الأكثر عريا la plus nue بل عريا محتشماnudité décente و الأكثر نقاءا la plus dénuée وفقرا فهو يحمل فقرا اساسياpeuverté essentielle كما انه أكثر عرضة للتهديد والخطر وذلك في عريه دون دفاع، وكأنه يدعونا لممارس العنف وفي الآن يمنعنا من القتل[3]، انه الضعف والهشاشة والفقر لأنه وجه الأرملة veuve واليتيم l'orphelin والغريبl'étranger الذي تواجهه الأنا كآخر منفصلا عنها، حيث تجمعهما علاقة قرب وليس تماثل وانصهار في المجتمع الذي يشكل المشترك بينهما[4].

[1] - Rodolphe Clain , François-David Sebbah, le vocabulaire de Lévinas, Ellipses Edition Markering S.A ,2002 , p.11.

[2] - Emmanuel Levinas, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger,op.cit, p.271.

[3] -Emmanuel Levinas, Ethique et infini, op.,cit, p.p.79-80.

[4] -Emmanuel Levinas, De L'existence à L'existant, op.,cit, p.138.

زيارة الوجه تكون في عرائه الذي هو تجرد من الصورة الخاصة، عراء في ذاته فعراء الوجه هو تعريه من كل زخرف ثقافي وغفران ايضا، فالوجه يخترق العالم اي عالمنا الخاص انطلاقا من مجال غريب، ودلالته تظهر في تجرده من سياق ثقافي، لأن الآخر باطلاق يأتي لزيارة الآخر انطلاقا من الوجه[1]

وفي هذا الصدد يقول لفيناس:"الوجه يكون دلالة، دلالة دون سياق. اذ اريد ان اقول من خلال ذلك بأن الآخر في استقامة وجهه، ليس شخصا في سياق. أحيانا يكون هذا الشخص: استاذا في السوربون، نائبا للرئيس في مجلس الدولة، ابن شخص ما، كل ما يوجد في جواز السفر، كيفية اللباس والظهور، كل دلالة في دلالة في المعنى العادي للعبارة في علاقة مع السياق: معنى اي شيء يرتبط بعلاقة مع شيء آخر.هنا، على العكس من ذلك، الوجه له معنى مستقل" .[2]

اذ له معنى خلف الصفات الفيزيولوجية للوجه بمثابة كلام وراء الشكل يأتي في صورة اثر Trace في صورة نداء يمنعني ان أضل أصما ازاءه او امتنع على ان اكون مسؤولا عن بؤسه، فللوجه امر بل وصية، تضع الوعي موضع سؤال من طرف الوجه[3]، يأمرني في تعاليه، انه الماضي السحيق، الأنارخيا او الما قبل اصلي انه الأمر الذي يأتي انطلاقا من وجه الآخر، يستفز وعيي وماهيتي وحضوري وحريتي، ففي اول اقترابه يضع ذاتي موضع سؤال بل اتهام، كسيد او قاضي يحاكمني[4]

ففي وجه اليتيم والأرملة والغريب إفصاح عن لغز، انه نداء تحريم فعل القتل أي العنف المتمثل في الكلمة الأولى" لا تقتل أبدا tu ne commettras pas demeurte"[5]، فالوجه في النهاية هو وجه سيد العدالة.

فحظور الله في الوجه كفيل بأن يحدث هزة هائلة داخل الأنا ليسائل الوعي والذي هو في الآن مساءلة للحرية المتوحشة بل الساذجة لاستقبال الآخر باطلاق الذي يتجلى في الوجه الذي يناديني ويأمرني في عريه، والذي يلزم الأنا على تقديم اجابة عليه حيث تأخذ شكل تضامن ومسؤولية دون حدود infiniment responsabilité نحو الآخر لتتولى مهمة افراغ الأنا من امبرياليته[6]،

[1] -Emmanuel Levinas, Humanisme de l'autre homme, op.,cit,p.68.

[2] -Emmanuel Levinas, Ethique et infini, op.cit, p.p.80-81 .

[3] -Emmanuel Levinas, humanisme de lautre homme , op.cit, p.p.68-68.

[4] -Emmanuel Levinas, Autremrnt Qu Etre ou Au-Dela Lessence, Autrement Qui Etre ou Au_Dela de L'essence, original édition : Martinus Nijhoff,1978 ,p.27.

[5] -Emmanuel Levinas, Totalité et infini,op.cit., 1971, p.217.

[6] -Emmanuel Levinas, Humanisme de L'autre homme, op.,cit.,p.69-70.

للذهاب الى الماوراء وراء العالم وراء كل انكشاف، مثل الواحد LUn في فرضية بارمانيدس الأولى، الواحد المتعالي على كل معرفة رمزية او دلالية فلا هو متشابه ولا هو غير متشابه، كما انه ليس هو مطابق ولا هو غير مطابق، مثلما وصف افلاطون الواحد بإبعاده عن كل تجل لأن عراء الوجه يحدث قطيعة مع الزمن لا تندمل، بحيث يزعج نظام المحايثة، فهو يتجه صوب الكائنات لكن لا يتماهى معها وغرائبيته تكمن في المكان الذي يأتي ويتوارى منه [1]، انه اله يتجاوز اقتدارات العقل.

فمع لفيناس يجب ان نتحدث عن اله وراء البداهة العقلانية الهوية الخاصة بالوعي، حيث يتعالى الاله انه اله ابراهيم Abraham واسحاقIsaac ويعقوبJacob ، انه ليس اله الفلسفة اذ لا ينص عليه خطاب العقلانية والانطولوجيا الكتاب المقدس الانجيل لطالما حدثنا عن اله في وعينا وشعورنا[2]، يكفي ان نعود حسب اغسطين والاكويني الى دواخلنا، الى مملكة الذات لكتشف الاله والحقيقة الكامنة داخل كل واحد منا، ان لفيناس يريد ان ياخذنا بعيدا عن ارض اللوغوس الأرض اليونانية التي تجهز على كل غيرية، الي ارض ابراهيم واسحاق ويعقوب منبع النور والكلام الإلهي.

وهو ما ورد في المزامير Psaumes(17-96) عن الاله يهوه الذي انعطف ونزل:"اعذرني يهوه، للطفك وكرمك؛ في رحمتك العظيمة، تنعطف –انت بإتجاهي أنا"[3]، يهوه ليس اله المثل المعلق في السماء.

فيهوه قد حطم السماوات ونزل لأنه ارحم الراحمين، والذي رأى معاناة شعبه شعب اسرائيل peuple d'Israël ليأتي مثل ضل عابر ليخدم البشر حيث ارتبط اسمه بعهد جديد للاله النازل والتضحية ، نزل نحو الإنسان ليخدم البشر فهو من يسأل ان نحب العدو الى حد الصديق، ويربط حبه على قدم المساواة للجار الذي يقود الى حب الله، فهو المنبع اليهودي-المسيحي لثقافة الغربية كما يقول لفيناس، الذي يقوم على تأكيد الرابط الحيوي بين مسؤولية الذات والآخر.[4]

لا يمكن ان نفهم الغير عند لفيناس الى بالاستناد الى ترسانته المفاهيمية وهي الأثر والله والحب والمسؤولية الى حد الارتهان، فمن خلال الارتهان والتضحية بالحياة من اجل الفناء في سبيل الآخر، يتحقق الحب في اجمل صوره، فالحب عند لفيناس حب دون شبق وشهوة فهو ليس مثل الحب

[1] - Emmanuel Levinas, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p.p.275-276 .

[2] - Emmanuel Levinas,D Dieu qui vient a l'idée, Libraire philosophie, J .Vrin, second Edition, 1986 p.p.96-97.

[3] - Jean-Marc Narbone, De L'au-Delà de L'être" A L"Autrement ou Etre" :le tournant Lévinissein, 2006,1n°25,p.74.

[4] -Ibid, p.p.74-75.

الايروسي الذي يجعل الذات والآخر يعيشان انانية مشتركة حيث يهدف كل واحد منهما الى امتلاك الآخر، بل هو حب مقدس انه محبة يقوم على التضحية والفناء في سبيل المعشوق.

فهو حب يختلف عن حب الفلسفة اليونانية"محبة الحكمة" تتأسس أولا على المعرفة، بل حب ينشد ماوراء المعرفة والحكمة اليونانية، عندما يأمل ان تصبح الفلسفة "حكمة حب" او حب الحب، حكمة لا تتحدد الا كعلامة مرتسمة على وجه الإنسان الآخر تشع نورا وتألقا، تدعوا لحب الغريب في غرائبيته، انه نداء القداسة والأخوة المجانية، والشريك في الانسانية ينشد مجتمعا عادلا يتحقق فيه السلام والعدل[1]، بشكل مجازي ينزل الاله في الوجه ليلزم الأنا بحب الغريب الذي لا أرض ولا وطن له، فوجه الغير يتعين فيه الاله، لذلك يلزم على الذات الانسانية ان تحب الذات الالهية، حبا جوانيا روحيا.

[1] - Emmanuel Levinas, Totalité et infini, op.cit.,p.p .4-5.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نستخلص جملة من النتائج يمكن رصدها في النقاط التالية:

-اذن لقد كان الدين اليهودي هو الأرضية الخصبة التي تأسست عليها كل فلسفة لفيناس ونزعة الأنسنة عنده، والتي لا تتحدد ملامحها الا ضمن افق العلاقة الإتيقية مع الآخر وجه لوجه للتأسيس لنوع من التتذاوت الكريم الذي يقوم على الحب والتواصل والإحترام والطيبة.

-العلاقة مع الآخر المختلف عن الذات تحكمها الرغبة التي لا تشبع ولا ترتوي ولا تنطفئ، تختلف الرغبة هنا عن الحاجة التي يشترك فيها الانسان مع الحيوان كالحاجة الى الغذاء لحفظ البقاء والاستمرار وهي على ما يبدوا ميزة فلسفة الكينونة، لذلك كانت الرغبة هي المفهموم الذي يليق بالانسان كإنسان، والذي يعول عليه لفيناس للتأسيس للعلاقة الإتيقية بين الذات والآخر.

-ان التعبير الذي ينير الوجه كسيد يأمرني في فقره وجوعه وعريه لا يمكنني ان اضل اصما تجاه ندائه، لانه لا أحد غيري يمكنه ان يجيب على ندائه وسؤاله والذي يجبر الأنا على تقديم تأويل اتيقي له، فكل ملامحه تنطق بالأمر الإلهي"لا تقتل أبدا" والذي يحرم فعل العنف والقتل .

-الإنسان الآخر هو طريق الأنا نحو الآخر بإطلاق أي الله الذي يسبق الذات والتجربة والعالم، حيث عظمته لا تظهر الا في الوجه الذي يتجلى فيه القبلي والتعالي، اذ يؤثر علي بسوط عنيف وممتلئ ليفرض نفسه كآمر وسيد وامبراطور في لقاء وجه لوجه، يستحوذ علي ويستجوبني فهو السيد الآمر في صراحة ووحشية وتضرع وحميمية.

- الأمر الالهي الآتي من الوجه المحرم للقتل والعنف يطالب الذات بحسن استقبال الآخر ليكون اللقاء الإتيقي دون عنف، بحيث يسائل حريتي من خلال تحميلي مسؤولية غير مشروطة نحو الآخر لتحقيق العدل ومن ثم تأسيس للسلم انطلاقا من خطاب الوجه فالحرب تفترض السلم.

- ان القضية الأساسية والتي يدافع عنها لفيناس تتمثل في كيفية اظهار أن الزمن ليس مجرد أفق أنطولوجي لكينونة الكائن بل كنمط لمرور لما وراء الكينونة، من خلال تحليل العلاقة مع الآخر التي تأخذ اشكال اجتماعية متعددة ضمن علاقات ايروسية érotisme وابوة Paternité ومسؤولية responsabilité لأن كل آخر هو طريقي نحو التعالي الغير قابل للمماثلة.

- ان العلاقة مع الآخر بإطلاق كفيلة بأن تخفف من حدة العنف الذي ملأ العالم، من خلال امتثال الذات للالزام الآتي من الوجه، في شكل مقاومة ومعارضة سلمية للعنف الناجم عن التمركز حول الذات، وهي مقاومة ذات بعد اتيقي تنشد المرور الى ما وراء العنف والذات نحوpaix السلم .

قائمة المصادر والمراجع:

1-قائمة المصادر:

أ-باللسان الفرنسي:

-Emmanuel Levinas,D Dieu qui vient a l'idée, Libraire philosophie, J .Vrin, second Edition .

-Emmanuel Levinas, Autremrnt Qu Etre ou Au-Dela Lessence, Autrement Qui Etre ou Au_Dela de L'essence, original édition : Martinus Nijhoff,1978

Emmanuel Levinas, Humanisme de L'autre homme, Fata morgana,1972.-

- Emmanuel Levinas, Ethique et infini(dialogue avec Philippe Nemo),Libraire Arthème et Rdio –France,1982.

-Emmanuel Levinas, Quelque réflections sur la philosophie de L Hitlérisme , suivi d un essai de Miguel Abensour, Editions Payot & Rivages, Paris, 1997.

.Emmanuel Levinas, le temps et L'autre, Fata Morgana, 1979 -

-Emmanuel Levinas , En découvrant L éxistence avec Husserl et Heidegger, En découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, Vrin, 2010, 4eme édition., p.187 . .librairie philosophique J

-Emmanuel Levinas, Totalité et infini(Essai sur L'extériorité), Original édition: Martinus Nijhoff, 1 eredition , 1971

2-قائمة المراجع:

أ-باللسان الفرنسي:

Edmond Husserl, Méditations cartésiennes (Introduction A la phénoménologie), - .traduit: Gabrielle Peiffer,Emmanuel Levinas , libraire philosophique J. Vrin, 1996, Paris

- Jean-Luc Marion, , Figures de la phénoménologie(Husserl, Heideggar, Levinas, Henry, Derrida), Libraire philosophique J. Vrin, Paris, 2012.

le tournant : "Autrement ou Etre" A L"- Jean-Marc Narbone, De L'au-Delà de L'être 25.ْLévinissein, 2006,1n

- Marie_Anne Lescourret, Homo philosophicos, Levinas de L'être à L'autre, sous la coordination de Joelle Hansel, press Universitaires de France, Paris,1er édition, 2006.

ب-باللسان العربي:

- جان بول سارتر، الكينونة والعدم(بحث في الأنطولوجيا الفنومينولوجية)، ترجمة نقولا متيني، مراجعة عبد العزيز العيادي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009.

- رشيد بوطيب، نقد الحريَّة، (مدخل الى امانويل ليفيناس)، تقديم أكسل هونيث، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، ط1، بيروت، الجزائر العاصمة، 2019 .

- عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007.

3-قائمة المعاجم والموسوعات:

أ-باللسان الفرنسي:

-Rodolphe Clain , François-David Sebbah, le vocabulaire de Lévinas, Ellipses Edition Markering S.A ,2002.